

احنا اللي نحسي

الوطن ونبوس جراحو \*

ان الفضبة التي كانت تنصب في وقت واحد على العدو المثلث : الفزوة الصهيوني والانتداب البريطاني والرجعية العربية المحلية وغير المحلية، كانت تنمو باطراد امام نمو المازق . في ذلك الوقت كان الريف يطور ، مع تصاعد التناقضات وانفجار الانتفاضات المسلحة ، وعيه الجديد من خلال احتكاك عناصره « المثقفة » بالمدن وتدفق عوامل التوعية :

يا ناس شو هالسخبة صهيوني مع غربى(٥٦).

ثم :

طلت البارودة والسبع ما طل

يا بوز البارودة من الندى منبل

وكذلك :

بارودتو بيد الدلال اريتها

لا عاش تلبسي ليش ما شريتها

وبارودتو لقطت صدى عقابها

لقطت صدى واستوحشت لصحابها

وحتى في الاعراس :

والعريس هو منا - يا ويل اللي نحاريو ، بالسيف

نتلع شاربو ، هز الرمح بعود الزين - وانتو يا

نشامى مين ؟ واحنا شباب فلسطين ، والنعم

والنعمتين - يا ابو العريس لا تهتم ، واحنا

شرايين الدم ، في بلعا ووادي التفاح\*\* صارت

هجة وضرب سلاح ... يا بيض يا ملاح ، بالله

تزرقتنا ، يوم وقعة بيت امرين ، تسبع شلع

الراتين ، طلي علينا من البلكون(٥٧).

بل تصل الدعوة التحريضية للثورة الى مداها

بصورة مدهشة ، فبعد كل الامثال الموروثة التي

تنصح بالاستكانة ، وتشكل قيدا له سطوة التقاليد

وعصبتها ، تضحي الازوجة الشعبية نجاة ،

قادرة على ان تقول :

يا عربي يا ابن المجردة

\* يصف توفيق زياد ، هذه القصيدة بقوله :

« انني لا اعرف عملا شعريا يمكن ان يقف من

ناحية الصلابة والتضحية والشجاعة في كنة

ميزان مع تلك القصيدة الرائعة » ( عن الادب

والادب الشعبي - دار العودة ، ص ٣٠ ) .

\*\* قربتان قرب نابلس وطولكرم ، وقعت مبيها

مبارك بارزة ضد الاحتلال البريطاني في ١٩٣٦ .

بيع امك واشري بارودة

والبارودة خير من امك

يوم الثورة تفرج همك ... (٥٨)

ان « البارودة » تضحي ، بتراكم التناقضات

واحتدامها ، الاداة التي تحطم ذلك السور العريق

من الدعوة للاستكانة ، وفجأة يصير بوسع هذه

« البارودة » ان تصل الى قلب المسألة ، وتصيح

الثورة كوعد للمستقبل - افضل من اكر ما في

الماضي من دفاء : الام ، العائلة . ولكن فوق هذا

الاحتدام كله كان الانتطاع الاكبري يتكلس بقيادة

العاجزة وسطوته وحلفه مع الماضي .

وسط هذه التناقضات المركبة ، المتقدمة ، المتزايدة

الانتساع والعمق ، والتي كانت تنصب على الفلاحين

والعمال العرب بالدرجة الاولى ، ولكنها ايضا

تجثم بقفل على البورجوازية الصغيرة والمتوسطة

في المدن والفلاحين المتوسطين بالارياض ، كان

المازق يتصاعد باطراد ، معبرا عن نفسه باتنجات

مسلحة بين الفينة والاخرى ( ١٩٢٨ - ١٩٣٢ ) :

كان الانتطاع الفلسطيني الاكبري ، من الجهة

الاخرى ، يشعر بان مصالحه هو الاخر مهددة

من قبل قوة اقتصادية صاعدة هي الرأسمالية

اليهودية المتحالفة مع الانتداب . ولكن مصالحه

كانت مهددة ايضا من الجهة المعاكسة : من

الجماهير العربية الفقيرة التي لم تعد تعرف اين

يتعين عليها ان تتجه ، فالبورجوازية العربية

الدينية كانت ضعيفة غير قادرة على قيادة مرحلة

التحول الاقتصادي التي كانت تجري بسرعة لا

مثيل لها ، وقسم صغير من هذه البورجوازية

تحول الى طحلب متسلق على هامش النمو

الصناعي اليهودي واخذ طريقه ، بقدر ما كانت

ظروفه الذاتية والظروف الموضوعية المحيطة

بوجوده ، تتخذ مجرى معاكسا للحركة التي كانت

تحدثم في المجتمع العربي ، وانفرد المثقفون الشبان

الذين تحددوا من عائلات ريفية ومدنية غنية بلعب

دور بارز في التصريض الثوري فقد عادوا من

جامعاتهم الى مجتمع يرفضون فيه صيغة العلاقات

القديمة التي اصبحت متخلفة ، وترفضهم فيه الصيغ

الجديدة التي اخذت تبلور نفسها وسط التحالف

الصهيوني - الامبريالي .

وهكذا امتزج ، بتلاحم لا نظير له ، التصال الطبقي

بالمصلحة القومية بالمشاعر الدينية ، وتفجر هذا